

## حياة الباحث مع أسواره من التراث

يقدم الدكتور كرم كاشي

استاذ التاريخ الاسلامي

من كلية العلوم الاسلاميه

جامعة آتاتورك . ارزروم

### التمهيد

ان الذين ترسوا الساحتان حيانه منذ نشأته الى ان مات وكيانه الذي فارق به جميع معاصريه ، وادبه الذي احاز به بين الارباه في عصره ، وكيه التي تصور حياه المجتمع من جميع النواحي في زمنه وآراءه السليمه التي يدل على سمعه صدره ، وانكاره العاليه التي تضمن لنا حلول المشاكل في عصره يشهدون بان الاتراك لموادورا هاما نفسي اياه واتروا تأثيرا مديدا في حياته . ونحن ان نتعالج هذا الموضوع اليك وسحاول كلف القاع مع وجه المقائق التاريخيه ونضيفها امام القراء المهتمين بها .

ولقد عرف العلماء قديها وحدينا في الشرق والمغرب بالباحظ الذي خلف لنا رايه المعارف الاسلاميه متحد الي كل حقل من حقول المجتمع ، التي في التاريخ والمساخه والادبيه حافلا باناره وانكاره ، وآرائه . وايضا هم بحثوا بحثا عميقا عن كيانه الادبي و مزياه البلاقيه وتركوا لنا مجلدات مخطوطات . ولا يتالحق ان قلنا ان لم يبق لغيرهم كلام على الباحث الا في هذا الموضوع ان حياه الباحث مع اسواره من التراث الذي لطرقه الموم .

### تاريخ حياه الباحث

وحسب بنات نقول كلمه تمهيه به قبل ما نبدأ ، بالتعرض لهذا الموضوع الهام :  
ان هؤلاء العلماء من المؤرخين والارباه كانوا يتفقون على التاريخ التي مات فيه الباحث بروم اختلا فهم في مولده ونشأته . ونحن نذكر هنا اهم الروايات التي على تاريخ ولا دسته بالحسب الظن المغالب ووفاته . ورد في معجم الارباه . ( 1 )

( 1 ) باقوت كوزوس ، معجم الارباه ، ج 1 ، ص 14 ، راجع

"أبو عثمان عمرو بن يحيى بن محبوب ولد في أول سنة (١٥٠هـ) مات ٢٥٥هـ )  
وقد جاوز الثمانين ،، وفي صحيح المطبوعات المبرهه والمبرهه (٢) .

"الجاحظ رئيس الفقه المبروف بالجاحظيه من الممتازك ولد حوالي سنة ١٦٠هـ  
بالمبره ونشأ بها . . . ومات فيها مفلوجا سنة ٢٥٥هـ ،، وفي القاموس : (٣)

"أبو عثمان الشهير بالجاحظ كبير الفقه الارب مولده ووفاته بالمبره في سنة ١٦٢هـ  
— ٢٥٥هـ ) وفي وفيات الاعيان (٤) " وكانت وفات الجاحظ في شهر المحرم سنة  
٢٥٥هـ . وقد نيف على تسعين سنة ،، وفي هديه المارفين (٥) " أبو عثمان البصرى  
الاعام اللغوى المحوى المعروف بالجاحظ ولد سنة (١٥٠هـ) وتوفى سنة ٢٥٥هـ  
له من التصانيف .

ذكرنا ما ورد في اهم المصادر التي تعرف لتاريخ ولاوه الجاحظ ووفاته . ومن  
الصعب جدا ان نجد طريقة تؤكد بين تلك الروايات المختلفه كما نشاهد مثل ذلك نفس  
كثير من اعلام الاسلام الذين تحدثوا رورا جدا في حقول العلم واصبحت كتبهم تسمن  
اصح المصادر المتداوله بين الناس على مر الممور . فاننا لا نعرف تاريخ ولا تسيم بالفيط .  
والسبب الحقيقي لذلك اوله هو الاسلام الذي لا تسيم بالمتخص بل انما يدهم —  
الاتسان الى الحقائق العمليا التي سمد بها البصر في الدنيا والاخره . فعلا : هاهـ  
نينا محمد ( صلم ) : يختلف الباحثون الى بوطنا هذا : في الموم التي ولد فيها  
والاسبوع التي وضع فيها والشهر الذي جاء بها ، والمعام الذي اترف فيه طي الارص  
بشيا ونديا كافة للناس ورحمة للمالين

وناننا وان كثيرا من اعلام الاسلام من العلماء والمؤرخين والادباء كانوا  
مجهولين في طفولتهم من ناحية الحساب والنسب . وكثير منهم نشأوا بين الموالى  
والمالك . ومنهم الضعفاء والفقراء والمساكين . انما جليوا انظار الناس بهـ  
ما اشتهر وا وتحمروا في علم من المعلوم وتجاوزت صيتهم الى الافاق . وفضلا عن  
ذلك فان التواضع منضم اب يكتوا شيئا عن قصص حياتهم .

(٢) يوسف البيان سركين، معجم المطبوعات المبرهه والمبرهه ج: ١ ص: ٢٦٦ طبعته  
مصر ١٩٢٨ .

(٣) خير الدين الزركي الاعلام : قاموس تراجم الرجال ج: ٥ ص: ٢٣٩ طبعته ١٥٩٩

(٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان ج: ٣ ص: ١٤٤ طبعته ناهره ١٩٤٧

(٥) اسماعيل باشا البيضاوى ، حديه المارفين ج: ١ ص: ٨٠٢ طبعته استانبول ١٩٥١

ولذلك لم يتركوا لنا روائك كافية تضيء مشاكلنا . فلا نعرف الا ببعض الخطوط التي ارتسمت على صفحات حياتهم بمعنايه الاختصار متملقه ببعض الحوادث التي تمكنت في اذهان الناس . ولا نخطأ اذا ادخلنا الجاحظ بينهم . لانه نشأ من ابويين فقيرين . فقبر في الجاه والمنصب " وكان جده اسوده يقال فزاره وكان جمالا لعمره وبن قلع الكنانى ،، (٦) ولا نعرف شيئا كافيا عن أسرته . انما نعرفها ببعض من رأى الجاحظ في طفولته ويتحدث " انه يبيع الخبز والسكك بسبحان ،، (٧) .

وعلى ما يدالنا بعد التحقيق يدور اختلاف المؤلفين في تاريخ ولادة الجاحظ ووفاته حول روايتين مهمتين عن الجاحظ نفسه . فقد يروى ياقوت الرومى بصد ولادة الجاحظ انه قال (٨) " انا اسن من ابى نواس ولدت في اول سنة (١٥٠هـ) ووالد في اخرها ،، وروايه اخرى تنبئ عن اواخر عمره . انه وقد اصابه الفالج كان يقول (٩) " انا من جانب الايسر مفلوج فلو قرص بالمقاريض ما علمت به ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لالمت وبى حصاد لا ينسرح لى البول معها واشدها على سة وتسعون سنة وكان ينشد .

" اترجو ان تكون وانت شيخ  
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب  
كما قد كنت اهام الشباب  
دريس كما الجديد من الشباب

وهاتان الروايتان اللتان جاتتا عن الجاحظ فيما يتعلق بولادته واواخر عمره هما مصدر الاختلاف عند المؤلفين . ويخلص الى القول ، اتفق العلماء على ان الجاحظ مات في سنة ٢٥٥هـ في البصرة وانه عاش نحو ٩٦ عاما كما ذكرناه آنفا . فيكون تاريخ ولادته حوالى سنة ١٥٩هـ .

(٦) ياقوت الرومى ، معجم الادباء ج ٦: ص ٦٥: طبعته مصر

(٧) " " نفس المصدر ج ٦: ص ٦٥: طبعته مصر

(٨) " " نفس المصدر ج ٦: ص ٥٧: طبعته مصر

(٩) ابن خلكان ، وفيها الاعيان ج ٣: ص ١٤٢: طبعته مصر .

تعليم الجاحظ :

نعم ولد ابو عثمان عربون بحرين محبوب الملقب بالجاحظ في البصرة  
واخذ النحو حتى الاخش ، وكان تلميذ ابي اسحاق المعروف بالنظام المتكلم  
المشهور المعتزلي . وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمعرب . (١٠)  
واولع بالقرآن حتى " انه لم يقع بيده كتابا الا استوفى قرائته كأننا ما كان ، وكان  
يكثري دكاكين الوراقين ويبيت فيها النظره (١١) تتقف بثقافة العربية وانت  
له الثقافة اليونانية وحذق بثقافة الفارسية وامعن نظره في الثقافة التركيبية  
ولم يهملها .

واخذ صيت الجاحظ يتوسع يوما فيوما بكتبه ورسائله . ويحدث عنسنه  
في قصور الخلفاء والامراء . وتسربت شهرته الى المأمون . فانه بعد ما قرأ  
كتابه " الامامة " استقدمه الى قصره وطلب منه ان يكتب رساله في العباسية (١٢)  
ولم يوافق المأمون الجاحظ ديوان الرسائل . فبرانه لم يمكث في ذلك المنصب  
سوى ثلاثة ايام ثم انه استعفى فاعفى . وكان سهل بن هارون يقول " ان ثبت  
الجاحظ في هذا الديوان اقل نجم الكتاب " (١٣) .

الاتراء في عاصه الخلافة :

ثم جاء المعتصم . وكانت امه تركيه . وبدأ بالمعتصم دورا جديدا فسعى  
الدولة العباسية وفي الممالك الاسلاميه . وبعدم ثقته بالعرب والفرس استقدم  
قوما جديدا الى عاصه دولته وقصره من المناطق الداخليه من ما وراء النهر .  
واستعان بهم في امور الدولة في الجيش اولا وفي الحكومه ثانيا . وهؤلاء  
كانوا اتراكا من خوارزم المعتصم .

وماكان الاتراك قبل المعتصم الا فئة قليله في الجند لاشأن لهم  
في امور الدولة . (١٤) ولم يمض مدد بعد ما جلبهم المعتصم حتى صاروا  
سموع الكلام في الدولة وجاوز صيتهم الى الافاق وقويت شوكتهم  
وكثرت نفوذهم الى حدان قال الشاعر : (١٥)  
اصبح الترك ملكي الامر والمعا  
لم ما بين سامع ومطيعه .

- (١٠) حنا اباخوري ، الجاحظ ص : طبعته بيروت .  
(١١) يا قوت الرومي ، معجم الادباء ج ٦ : ص ٥٧ طبعته مصر .  
(١٢) يا قوت الرومي ، معجم الادباء ج ٦ : ص ٥٨ طبعته مصر .  
(١٣) جرجي زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ج ٤ : ص ١٧٨ طبعته دار الهلال بمصر  
(١٤) احمد ابن ، ظهر الاسلام ج ١ : ص ٢٢ طبعته مصر ١٩٦٢

### الأتراك والجاحظ :

وشاهد الجاحظ مجيء الأتراك إلى بغداد على ظهور خيولهم بطلب المعتصم مع حسن هندامهم وجمال منظرهم ولاسيما الذين كانوا من أبناء الطوارق بزيهم الخاص . وشاهد أيضا سقوط الترك وحلولهم محل العرب والفرس وانتصارهم على بابك الحزمي وعلى الروم في فتح عمورية في ألتانج وإخمادهم للفتن والقلاقل التي أثارها العرب في الداخل في المدينة وفي مكة وفي سائر بلاد الدولة العباسية .

وآثر هذا كله على الجاحظ حتى أصبح على الترك قلمه السيل بأسلوب جاحظي . وكتب رسالته المشهورة الفريدة في نوعه في فضائل الأتراك . وبين هنا مناقب الأتراك على ما بلغ إليه الآثار وهو يقول في ذلك ( ١٦ ) " إلا أنا على كل حال سنذكر جملا من أحاديث روينها ووعيناها وأمور رأيناها وشاهدناها ، وقصص تلقناها من أفواه الرجال وسمعناها . "

والحق إن الجاحظ كتب رسالته أيام المعتصم . وإراد أن يقدم إليه كما قدم كثير من كتبه إلى أكبر الدول من الوزراء والأمراء حتى يتقرب إليهم ويتلازم مجلسهم . ولكن لم تصل الرسالة إليه لأسباب يطول شرحها وهو يقول في ذلك " فلذلك لم أعرض للإخبار عنها . وأحببت أن يكون كتابا قصدا ومذهبا عدلا ولا يكون كتاب أسراف في مديح قوم وأفراق في هجاء آخرين . فان الكتاب إذا كان شأنه الكذب وخالفه التزيد وبني أساسه على التكلف وخرج كلامه مخرج الاستكراه والتعللق واتصل الجاحظ بالمعتصم وصحبه . ( ١٧ )

( ١٦ ) الجاحظ ، فضائل الأتراك ( رسائل الجاحظ ) .

( ١٧ ) الجاحظ ، ( كتاب طراز المجالس ) ، صنعا ، القواعد ص ٢٦ ، طبعة مصر ١٢٨٤

ومضت أيام المعتصم وجاءت دولة الواثق . وقد ازدهر اقبال الاتراك  
وكثر عددهم وازداد نفوذهم ولما كانت دولة المتوكل بلغت سطوة التراك  
الى اوج العالى فى الجيش والحكومة . وكانت ام المتوكل ايضا تركية  
والاتراك غلبوا فى عهده واخذوا زمام الولاية بايديهم وساعدتهم الجوارث  
فى اعلاء شأنهم ورفع سلطانهم . وكثير منهم تولوا مناصب الدولة وكانست  
معظم الامور بايدى الاتراك . ومن اشهر منهم ايتاخ ، ووصيف . وبغا وغيرهم  
من الاتراك الذين صاروا نخبه من قواد الخليفة فى الجيش وفى ذلك يقول الشاعر  
ولعله فى المستعين ( ١٨ )

خليفة فى قفص بيد وصيف وبغا

يقول ما قال له كما يقول البغا

صلة الجاحظ برجال الاتراك فى عهد العباسيين

ابو يعقوب الحزيمى الشاعر التركى الجليل والجاحظ

والارسخاوى ان تلقى ضوءا على علاقات الجاحظ مع كبار الاتراك فاو لا

منهم ابو يعقوب الحزيمى .

ولا يخفى علينا ان الحزيمى كان من الاتراك الاوليين الذين لمعوا سماء

الادب والشعر فى عاصفة الخلافة وكان اضله من اترك ماورا النهر ( اى التركستان

السفلى ) تعلم العلم والادب حتى صار شاعرا بليغا واديبا فصيحاً يقول ابن

المعتمز " كان الحزيمى شاعرا مقلقا مطبوعا مقتدرا على الشعر وكان يمدح الخلفاء

والوزراء والاشراف فيمدح له الكثير وكان من نسل الاتراك ( ١٩ ) ، فلما قدم

الجاحظ الى بغداد اتصل به اتصالا قويا وصار من احب اصدقائه وحسبك قول

( ١٨ ) الدكتور مر اسراهم حسن ، تاريخ الاسلام ج : ٣ ص : ٩ طبعة مصر ١٩٥٥

( ١٩ ) ابن المعتمز ، كتاب طبقات الشعراء ، ص : ١٣٩ .

الاستاذ على جوار الطاهر حيث يقول " اما علاقته - اى المرهوى - الا ربيعه  
ولا بد من انها و اسمها و كانت علاقة الجاحظ به علاقة اعجاب ،، (٢٠) ، ولذلك لا  
تتجها اذا دور الجاحظ ابيانا كبيره من ضميره فى المواضيع المختلفه من مؤلفاته<sup>(٢١)</sup>  
ابراهيم بن الميافى المولى من كبار رجال الدوله - والجاحظ

لما بزل الجاحظ ببغداد حتى اخذ صيته ينتشر بوطا فبو طابكبه ورسائله  
وتحدث عنه الناس فى قصور الخلفاء و الامراء وبلغ خبره الى السامون ، فانسه  
لما قرأ كتاب الجاحظ الاثامه استقدمه الى قمره و طلب منه ان يكتب رساله فى  
الميافيه ، و عمل الجاحظ قد اتصل بمد ما لازم يلاحظ الخليفه با . ابراهيم بن  
الميافى المولى التركى ( المتوفى سنة ٤٢٣ هـ ) من اكبر رجال الدوله فى عهد  
السامون و الممتنع و الرائق و المتوكل من خلفاء الميافيين .

وقد استند الى ابراهيم ديوان الرسائل الذى هو محور السياسة الساميه  
للدول و كان لا يعتمد به الا لدوى الثرى و النباهه و كان لا يلبه الا الحدائق فى  
مختلف العلوم و الآداب و اصحاب السياسه و التدبير و الكفايه . وقد كان ابراهيم  
بن الميافى المولى مقدما فيه حتى اوائل عهد السامون . فلما قدم الجاحظ  
اليه قره حتى صار يلقى اعراضه فانه و كان الجاحظ يخلفه فى الديوان اذا تميم  
فى شأن من شئونه الخاصه و الماده حتى لقب بخليفه ابراهيم بن الميافى المولى  
على ديوان الرسائل . ( ٢٢ )

نعم : اخرج الجاحظ من ديوان الرسائل ولكنه اتصل اتصالا تاما بابراهيم  
بن الميافى رئيس ديوان الرسائل ، و صار ابراهيم بن الميافى من الشخصيات المشهوره فى  
حياته الجاحظ الذى حظ برعايته و درايته و مساعفته الوردية .

( ٢٠ ) . مجله بجمع اللغه العربيه ٤٠ . مطبق ، المجلد : ٤١ ، ص : ٤٥٨ .

( ٢١ ) الجاحظ ، البيان و التبيين . ج : ١ ، ص : ٢٤٢ ، الصو ان . ج : ١ ، ص : ٢٢٦ - ٢٢٤

( ٢٢ ) عيار بلا ، الجاحظ فى الكبره و البغداد و ساموا ، ص : ٢٨٢ .



وكان من ربه من العلماء اذ اللو كايا ان يقدموه الي من يقدر حقهم  
من كبار رجال الدولة كما اعطى للمؤلفين حق الطبع في زماننا) وقد اتبع  
الباحظ هذه السنة اللد بعد تقديمه الي من يقدر حقه من الوزراء والامراء ومن  
جملتهم ابراهيم بن المصباح العمري التركي . فانه وضع "كتاب الريع والنخل و  
الزيتون والاعشاب" ورفعه الي ابراهيم بن المصباح العمري من اسياده من  
الأتراك فاجاز عليه بمجموعه آلاف دينار. (٢٢) فمن اجل ذلك كان الباحث  
يعيش في ترفه من الحياه في البصره وبعداد وسامراء . حتى ان بعض الناس كانوا  
يخطون حاله .

وتشبه روايات الباحث الي ان يفتن من خقدوا على ابراهيم واعبوا على الباحث  
تقديم رسالته اليه ومن جملتهم الوزير محمد بن عبد الملك الزيات وامل الباحث  
كتب رسالته الطويلة "في الجند والجزال" ، حتى قال في هذه الرسالة " وبعد مستي  
صار اختيار النخل على الريع يحقد الاجزان . . . وني صار تقديم النخلة بله وتفصيل  
السنبله تحله فبعثنا انت بنوع من المجهب ابطال كل عجب . ٢٤٥/٤

#### النسخ ابن خاقان وزوج المتوكل من اسياد الباحث

ومن الاثراء الذين برزوا في الادارة الفتح خاقان التركي . وكان ممن  
وزراء الدولة اتخذوا المتوكل اخاه وقدمه على اهله . وكان خاصه حظه  
عنده . . وكان المتوكل لا يهرون الفتح قدر مساهمته (٢٥) . واعمل الباحث اولا بالفتح  
بن خاقان التركي . ومع ان المصادر التي بايد بنا لا تسمح باى وسيلة اتصل الباحث  
بالفتح . يمكن لنا ان نقول كلفه في اتصاله بالفتح بن خاقان بعد ما اطمنا على  
حياته من الميدين . احدثنا صادر الدوله والاخر صادر الارب المرسى في مصره .

- (٢٢) - الباحث ، رساله في الجند والجزال (رسائل الباحث) ج : ١ ص : ٢٣١ .  
الموى ، مجمع الادباء ، ج : ١ ص : ٢٥١ .  
(٢٤) - الباحث ، نفس المصدر ج : ١ ص : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ .  
(٢٥) - نوات الزيات ، محمد بن شاكين أحمد ج : ٢ ص : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥١ ، ٢٥٢



ولا يك لدنيا ان الفتاح بن خاقان كان اكبر رجل في دار الخليفة ومن ملأه الدولة واصحاب الملكة وكان على جانب عظيم من الدهاء والسياسة والتفلسف وكان مقصود الجانب من اكبر العلماء وقبول الاديان . ومن ابرز ما اتمه - وميزه من غيره من الوزراء وكبار الدولة فراهه بالكتاب فراهما شديدا . وهو ل ابو هفان ( ٢٦٦ ) ثلاثة لم ار قطوا لاسمعت باكثر محبة للكتب والمعلوم منهم . الجاحظ والفتاح بن خاقان واسماعيل بن اسحق القاضي . " وكان له خزانة حكمة لسلم يور الناس اعظم منها ككرة وحسنا جميعها له على بن يحيى النخعي من كتبه وما انكثبه الفتاح لنفسه . ( ٢٧٠ )

فلا يعد ان رجلا مثل الفتاح بن خاقان في محبته لكتب اطلع على مؤلفات الجاحظ الذي انتشر صيته في الالفاق واخذ يتحدث منه في محاسن الفرفراة وحلقته الاديان وقصور الخلفاء ودار الامراء هذه فاحبه ومن ناحيه اخرى وكان دار الفتاح مبهط العلماء رمزل البيهقي وكان يحضر دارة مصحح الموطأ وطلأه البيهقي وادياه الكوفة . ومن كان في جملته الفضل بن سلمة اللعوي المعروف . وكان الفتاح يتبارى في تفسير الآيات مع البرد وامثاله . وللمجتري فيه مدائح كثيرة هي من غير ديوانه . ( ٢٨٠ )

وشيعنا الجاحظ اعنف بلا زوم مجلس الخلفاء والوزراء منذ عهد المتأسسون واتصل برجال الدولة حينما قدم الى بغداد . ولعل هذا هيا الفرصة للجاحظ ان يتحمل للفتاح بن خاقان من اكبر الاتراك .

وفي الحقيقة كان الفتاح بن خاقان من المعجبين بالجاحظ اصحابا ياربه وفضله وبعده معارفه واسلوبه الجاحظي . وبعد تا اتصل الجاحظ بالفتاح قدم اليه سلسلة من كتبه . وكان الجاحظ يراه اهل الالايثار . فوضع له رساله المشهورة " نسي مناقب الاتراك وعاش حنن الخلافة ، وزعمها اليه بهذا المقدح الجاحظي البارحة :

- ( ٢٦ ) - باقوت الرومي ، مجمع الاديان ، ج ١ ، ص ١١٧ ، طبعه مصر .  
( ٢٧ ) - باقوت الرومي ، نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١١٧ ، طبعه مصر .  
( ٢٨ ) - للجاحظ ، الحاج في اخلاق الملوك ، ج ١ ، ص ٢٣ ، طبعه بيروت ١٩٥٥

" وفك الله ليرشدك و اعان على شكرك واصحك واصلح على يد ----- .  
 وجعلناك و اياك من يقول بالحق و يمل به و يورثوه و يحتلم ما فيه ما قد  
 بعده عنه ، . فان الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين دون اب ليكونوا  
 عالمين . بل علمهم ليعلموا و بين لهم ليتقوا و الخواتم الوتوع في المضار و التورط  
 في المبالاك : يطلب الناس التبين و لحب السلااة من المهلكة و الرغبة في المنفعة  
 احتلوا مثل لتعلم و تعلموا مكره المعاناة . . الخ . . . و بهذه المفد -----  
 الطويلة التي اقتبسنا جملا منها قدام الجاحظ رسالته الى الفتح بن خاقان سيده  
 و مولاه و ولى نعمته و حامييه . ( ٢٩ )

واتصل الجاحظ بالخليفة العتوكل على الله بواسطة خليفه الوفي و صديقه  
 الكرهه و تقرب اليه و حضر مجلسه . و كتبوا ما اخذ الفتح بن خاقان الجواند  
 و الاحسان منه . و بسط الكلام باقوت ابن و مرفى مجيبه بعد راتصال الجاحظ  
 بالخليفة بقصه رجل اراد شفاعه الجاحظ برسالته لقضاء حاجته . و خلاصه هذ  
 القصة و هي :

" ان رجلا سأل منه كتابا الى بعض اصحابه بالوصية . فكيب الجاحظ  
 له رقعة . و ختمها . فلما خرج الرجل من عنده فضاها فاذا هي في الكتاب .

" هذا الكتاب مع من لا عرفه . و قد كلفني فيه من لا اوجب حقه . فكان  
 قضيت حاجته لم اصدق و ان ردت له لم اذ لك ، فرجع الرجل اليه . فقال الجاحظ  
 : " كايك فضيف " الورقة . قال : نعم قال الجاحظ :

— لا يضرك ما فيها فانه علاه الى اذ ارا رت السنائه يشخس . فقال الرجل :  
 — ام الجاحظ عشرة الف و عشرة الاف قمية و ام من يسأله حاجة . فقال  
 الجاحظ ما هذا ؟ فقال الرجل : " هذه علاتي فبين أنكوه . " ( ٣٠ ) و تسهل  
 وجه الجاحظ على هذا و تعجب بكل الاعجاب و ضحك ضحكة . و حدث الى الفتح

( ٢٩ ) — الجاحظ ، فضاقل الاتراك .

( ٣٠ ) — باقوت الرومي ، معجم الارباه ج : ١ ، ص : ٦٢ طبعه مصر ١٩٣٠

ما جرى بينه وبين هذا الرجل . وتعجب الفتح أكثر من تعجب الجاحظ بسبب هذا المزاج . وحكاه للمعتوك على الله الخليفة المعتوك الذي لم يلبث أن انصرف باحضاره . ويقول الجاحظ :

"فلذلك كان سبب انصالي به واحضاري الى مجلته .،، (٣١)

ولكن الخليفة لم يحظ حظا وافرا من طوبه ولم يلتفت اليه له ما عدا خلفته وادميم صورته . ووقه استحضرتوكل ان يورث ببعض ولده . فلما راه استتبع منظره فاعرفه بمشرفه الآف درهم و صرفه . (٣٢) ووردت روايات كثيرة تدل على قبح منظره . ومن ذلك قول الشاعر : (٣٣)

" لو يسخ الخنزير مسخا ثانيا  
ما كان الا دون فتح الجاحظ  
رجل يتوب الجحيم بنفسه وهو القذى في كل طرفلا حظه،،

صاح الجاحظ مع الفتح بن خاقان التركي :

لما كان الجاحظ من اقرب الناس الى الفتح بينه وبين الجاحظ مودة قلبيه لا يقدر قدرها . وهذه الرسالة التي كتبها الفتح من دار الخلافة ببغداد الى الجاحظ يعطرن لنا فكرة واضحة عن درجة الاجاء والمودة بين هذين الحليين . ولا يزال ان قلنا ان الفتح بن خاقان اكثر من يعرف الجاحظ حقه ويقدر مكانه ويسبح عليه نعمة وعطاياه . مع اخلاصه . وهو يقول في رسالته الى الجاحظ :

" ان امير المؤمنين يجد بك وبينك عن ذكرك ولو لا عطفتك في نفسي لملكك ومعرفتك لحال بينك وبين يمدك عن مجلته . ولعمري انك رأيت وتدبرك فيها انت مشغول به ومتفرغ . عليه . وقد كان القرابي من هذا عنده فزرتك في نفسه زياده لك بها عن تجشيك . فاعرف لي هذه الحال واعتقد هذه المنه

(٣١) - يا قوت الروحي ، نفس المصطفى ج : ١٦٤ ص : ١٢٣ طبعته مصر .

(٣٢) - لابن خلکان ، ونفاة الاعيان ج : ٣ ص : ١٤٠ .

(٣٣) - شفيق جبري ، الجاحظ معلم العقل والادب ج : ١٧٥ طبعته مصر ١٩٤٨

على كتاب الرد على النصارى وافرغ منه وعجل به الى وكن من جدابه على نفسه  
تناول من مشاهرتك . وقد استطلعت لهامضى . واستسلفت لك لسنة كامله مستقبليه .  
وهذا ما تحتكم به نفسك . وقد قرأت رسالتك بصيره غنام ولولا انى ازيد فسى  
مخيلتك لعرفتك ما يعترينى عند قراءتها والسلام . ( ٢٤ )

هذه ناحيه ومن ناحيه اخرى ان الرساله التى كتبها الفتح الى خليفه يكشف  
لنا القناع عن بعض الحقائق التاريخيه الا وهى ان الجاحظ وضع بعض رسائله  
بتحريض من الفتح بن خاقان وتشجيع له بحسب الظروف التى ساقته الى ان يكتب  
رساله مستقله لفرض سياسى يستهدى مصالح الدوله و نفع المسلمين .

وثانيا ان بعض رجال الاقليه ظهروا وصاروا خطرا عظيما يهدد الدوله  
ويضل الناس ويفسد اذهانهم بالباطل عن الحق و خاصه النصارى واليهود .  
والفتح بن خاقان هو الذى معظم الامر بيده والغالب على الخليفه تغلب على هذا  
الخطر تغليا تاما ومهض الجاحظ على الدفاع ع الاسلام واستيقاظ للمسلمين  
ضد هؤلاء التغلبين الصعوديين من النصارى واليهود الذين يعيشون فسى  
ترف من الحياه فى الممالك الاسلاميه الواسعه .

#### تكره من المجتمع العباسى فى ايام الجاحظ :

ونحن لا نريد ان نسط الكلام بل نقول بالاختصار : بعد ما اتسعت المملكه  
الاسلاميه بسلسله من الفتوحات التى احرزها مجاهد والعرب كانت النصارى من  
اهم العناصر التى دخلت تحت رايه الاسلام بجانب العناصر الاخرى وتظلوا فيها  
وآمنوا بها .

وجدير بالذكر ان علاقات المسلمين بالنصارى ترجع الى عهد النبى . والفسران  
سأهم باهل الكتاب ، وورد فى القرآن والاحاديث كثير من خبارهم وقصصهم .  
وفضلهم الشريعه فى بعض النواحي على سائر الكفار والمشركين . وابتاحت للمسلمين  
الزواج بنسائهم وبناتهم واكل لحومهم مما ذبحوا من الغنم والبقر وغير ذلك  
كما فصلها الفقهاء فى كتبهم .

وبفضل هذه الحرمة لعب النصارى واليهود دورا هاما في المجتمع الإسلامي . ومنهم من تولى المناصب الحظوة في الدولة الإسلامية خاصة في عهد المأمون . وبلغ نفوذهم من الاتساع حدا يهدد الاسلام . واخذوا يلبسون الباطل بالحق ويضلون عوام الناس ويعثون في الارض فسادا . وكان المسلمون يخشون خطر تعاليهم عند ما اطلق القول في زمن المأمون . وقد بلغ الخوف في عهد المتوكل الى حد ما ويقول الجاحظ في كتابه الرد على النصارى :

\* واضنع كثير من كبرائهم ما اعطاء الجزية ونفوا مع اقتدارهم من دفعها وسوا من سبهم وضرروا من ضريرهم . وما لا يفعلون ذلك واكثر منه . واضاف الجاحظ يقول :

\* يتبعون المشابه من كتابنا ثم يخلون بضعفائنا ويستلون عن عوامنا مسعيا بما قد يعلمون من مسائل الملكدين والزنادقة الملعين . . . ومن البلاء ان كل الانسان من المسلمين يرى انه متكلم . وانه ليس احدا حق بمحاجة الملكدين من احد . . . ( ٣٥ )

واراد الفتح بن خاقان ان يثير عليهم وان يجهز المسلمين بالدلائل والحجج لدفاع عن دينهم . ولذلك حرص الفتح اكبر رجاله وتكلمه في الدين ان يحمل عليهم ويسد بابهم الذي فتحو لافساد الناس . فطلب من الجاحظ ان يضع رسالته الشهيرة \* كتاب الرد على النصارى ، على هؤلاء المتغلبين المسعوديين من النصارى واليهود . حمل عليهم وجرح حججهم وبراهينهم على ضوء ما قدمنا . كل ذلك بدلنا على ان الفتح بن خاقان كان يعطف على الجاحظ بكل نواحيه ويتكلف ايضا جميع حوائجه ويذل احسانه اياه . فبقى لنا سؤال هام توردناه هنا : ما مكانة الفتح بن خاقان من نفس الجاحظ ؟؟؟؟

و ليس من الصعب ان يجيب عن هذه السؤال لكل من يعرف الفتح بن جاقان و الجاحظ حقيما سميد عن الصميه القومية التي تسقى من المؤننين المحدثين

نعم اب الجاحظ يعرف منزل سيده و يقدر حظه و يشكر اياه و يزيد في شكره عن صميم قلبه . و لا يتألم ان مكان الفتح عند الجاحظ هو مكان الجاحظ عند الفتح . و يسمح الجاحظ و نسمع كلامه . فانه يقول :

والنقل انا لم نزل في صدر هذه الدوله المباركه المباركه المباركه و لا نسي تاريخها و ايامها الى هذه النباهه فتي اجتمعت له فضايل الملوك و ارايها و مكارمها و مناقبها . فجاز الولاء من هاشم و الخميمي من خلفاء بنى العباس الطيبين . و التبتى من الممتهم بالله و اخواته الابرار من ائمه المؤمنين و ورثة خاتم النبيين عد الامير الفتح بسن جاقان مولى امير المؤمنين

فلتهبته هذه النعمة العبداء . و بارك له و اهدبها و زاد اليها الدأب عليها حتى يبلغ به ارفع يقاعها و استنى دورتها و اعلى درجاتها في طول من الممر و سلامه من عوارى الزمان و غيره و نكباته فانه رحيم كريه (٢٦) موت الجاحظ في البصره :

فيعد اب انضحت لنا المصلحة بين الفتح و الجاحظ لا تتمحيط اذ اختار الفتح ابن جاقان الجاحظ رفيقا عز يزا في طريقه الى الشام في اثناء سفره في سنة (٢٤٣) - (٢٤٤) في عهد و زارته للتموكل . و بهذا سحت الفرصه الجاحظ ليزار انما كيه و ربما وصل الى مير نوزارته الاستار في الآفاق اطلاقا و وسمه معرفه و ربما تجده يتحدث في مؤلفاته عما لافانفي هذه السفر من عناء و غيره لا تحلو ا من فكاهه و طرافه (٢٧) .

- (٢٦) - الجاحظ، كتاب النتائج في اخلاق الملوك ص: ٢٠٢ طبعه بيروت ١٩٥٥ .  
(٢٧) - الجاحظ، كتاب الحواريان ج١: ص: ٣٧٢ .

وبعد ما سطع نوره في البصرة وبغداد وسامراء اختصر هذا النجم  
اللامع من اواساط الارباء وقصور الامراء خصوصا بعد ان مات اسياده من  
الأتراك مثل الفتح بن خاقان وغيرهم من رجال الدولة الى ان اصيب بعلاج  
نصفى ه واخذ ذلك المصباح المنير ينجو شيئا فشيئا حتى ظل مفلوجا ثمانية  
اعوام محرمة من سنة ٢٤٧ الى ٢٥٥ هـ . ومات في شهر المحرم بالبصرة  
وقد نيك على تسعين سنة . ( ٣٨ )

### Cahızın TÜRK ASILLI EFENDİLERİ İLE HAYATI

Cahızla yakından ilgilenenler, onun sadece bir edip olmadığını başta tarih olmak üzere bir çok İslâmî konularda vukufu olan bir şahsiyet olduğunda ittifak ederler.

Cahızın ilminin vüsati ve bereketi yanında, çok uzun da bir ömrü vardır. İslâmî kaynaklar onun bir asra yakın bir ömür yaşadığını kaydetmektedirler. Çok meyveler veren bu ömür çeşitli yönleri ile incelenmiş ve gerçekten de doyurucu çalışmalar yapılmıştır.

Ancak bir yönü vardır ki daha yeteri kadar aydınlatılmış değildir. Onun yaşadığı seneler Türklerin Abbasîler devrinde izzet ve ikbâlin zirvesine tırmandıkları devirlerdir. Türk asıllı bir çok ilim adamı vardır, devlet adamı vardır, büyük nüfuz sahibi komutanlar vardır.

Cahızın muasırı olan bu pek çok Türk asıllı büyüklerle ilişkisi ne durumda idi? Daha bu sorunun yeteri kadar aydınlığa kavuşturulduğu iddia edilemez. Bu mütevazı araştırmanın gayesi büyük ilim abidesi ve «Türklerin Üstünlükleri» Müellifinin, Türk asıllı efendileri ile olan hayatını anlatmak ve gün ışığına çıkarılmaktır.

---

(٣٨) - الحموی ، معجم الارباء ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ابن خلکان ، وفيات

الاعیان ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .